

د. نجيب الكيلاني

من روائع الأدب الإسلامي

مسرحية

سراييڤو حبيبتي

Sarajevo My Love



Dr. Naguib Al Keilany

د. نجيب الكيلاني

من روائع الأدب الإسلامي



مسرحية

سراييفو حبيبتي

Sarajevo My Love



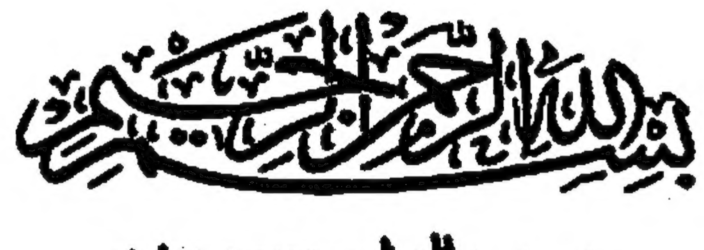
دار الصحوة للنشر والتوزيع
Telefax: +202 42 10 60 60
Mobil: +20 1114520485
daralsahoh@gmail.com

Design by Abdul Rahman Magdy

سراييفو حبيبتي

تأليف

د. نجيب الكيلاني



الطبعة الأولى

1437هـ - 2015م

رقم الإيداع

2015/13320

الترقيم الدولي

978-977-255-467-6



القاهرة - تليفاكس: 0020242146060
موبايل: 00201114520485
daralsahoh@gmail.com

سرايفوا حبيبتي



مجموعة من الأشبال تبدأ بهذا النشيد قبل رفع الستار:

نحـــن جنـــد الحـــق في يـــوم اللقـــاء

نحـــن أشـــبال إمـــام الأنبيـــاء

داهـــم الكفـــر ديـــار الـــشرفاء

نحـــن للإســـلام بـــذل وفـــداء

نحـــن للإســـلام بـــذل وفـــداء

أنـــت يـــا بوســـنة يـــا رمـــز الإبـــاء

يـــا مـــلاذ النـــور والعـــزم المـــضاء

فليمـــد الـــصرب نـــيران العـــداء

نحـــن للإســـلام بـــذل وعطـــاء

نحـــن للإســـلام بـــذل وعطـــاء

ســـوف نمـــضي للـــوغي تحـــت اللـــواء

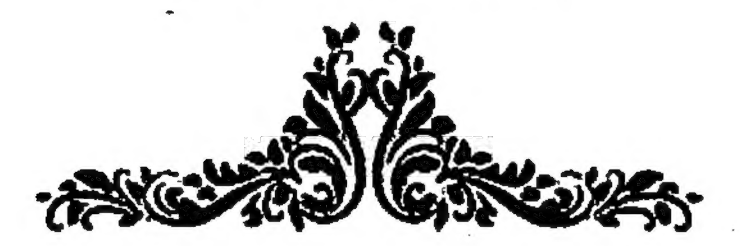
نحمـــل القـــرآن هـــديًا وضـــياء

في ســـبيل الله هاتيـــك الـــدماء

نحـــن للإســـلام بـــذل وفـــداء

نحـــن للإســـلام بـــذل وفـــداء

المشهد الأول



(صالة واسعة في أحد بيوت سراييفو - مقاعد وأرائك - طاولة للطعام، آيات قرآنية بخط جميل معلقة على الحائط صورة لكعبة، وأخرى لمسجد الرسول ﷺ- الأب العجوز الملتحي وأخوه، وولدان في سن الشباب).

الشيخ محمد (الأب) يقول في حزن: دمروا المسجد الذي نصلي فيه ونعلم الناس مبادئ الإسلام.

العم معروف: السماء تنذر بالرعد والبرق والغيوم.

الأب: يبدو أن مآسي تيتو القديمة تطل برؤسها يا شقيقي العزيز.

الأب بلالوفيتش (وقد ارتدى ملابس موظف بفندق) يقول: الفندق أغلق أبوابه بعد أن دمرت مدخله قذيفة يا عمي معروف.

العم معروف: إنهم يغتصبون النساء، الصرب قوم متعصبون لا يعرفون الرحمة.

الأب: ذلك لأنهم لا يعرفون الله الحق.

الابن الثاني الأصغر سالو: لقد أغلقت المدرسة أبوابها، ويجب أن ننخرط في سلك المجاهدين يا أبي.

الأب (يهز رأسه): الإسلام أولًا، إنهم يريدون القضاء على الإسلام، فيشنون حب إبادة علينا يا ولدي سالو.

سالو: سنضحي بأرواحنا يا أبي.

الأب: أوروبا وأمريكا أصدروا قرارًا بعدم مدنا بالسلاح للدفاع عن أنفسنا بينما يتدفق السلاح على الصرب من كل مكان.

العم معروف: لا عدالة في هذه الدنيا يا شيخ محمد.

الأب: لا ينال حقه إلا القوي.

سالو: ولماذا أصابنا الوهن يا أبتي؟

الأب: كنا نعيش لنأكل، لم نفكر في المستقبل.. لم نتعلم أصول ديننا لنعمل بها، والعالم الغربي يعادي الإسلام، والمسلمون نائمون .

العم: يستيقظون فيرون أنفسهم في واقع رهيب أبشع من الكابوس.

بلالوفيتش: إذا كان العالم المتحضر ضدنا فنتيجة المعركة معروفة.

الأب: (يصرخ في غضب).. لا .. لا .. إن الله معنا.

(يصمت فترة ثم يستطرد).

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد:7].

العم: هذا إذا حاولنا فعلًا أن ننصر الله.

الأب: المحن تعيد تشكيل النفوس، وتعيد الشارد إلى ظل الإيمان .

بلالوفيتش: الجهاد أصبح فرض عين على الرجال والنساء.

الأب: لكل شيء ثمن، وثمن النصر التضحية.

العم: الموت في سبيل الله أسمى وأرفع ألف مرة من الحياة الشائنة التي تعيشها البوسنة والهرسك..

الأب: أية حياة؟؟ أنسلم أعناقنا للذبح وامتصاص الدماء منا ونحن أحياء؟؟ ونعرض نساءنا للاغتصاب وابنتينا للتدمير. وشبابنا للذل والأسر، ثم نزعم أنها حياة.. وأننا نعيش.

العم: تعست هذه الحياة البائسة...

سالو: أبتي..

الأب: ماذا؟

سالو: لقد اشتقت لأخي على.

الأب: (في سخرية) علي ذهب ولن يعود.. علي فرد، ونحن أمة نحن الإسلام في أوروبا.. وأخوك علي قاطع طريق لا تنسى ذلك يا سالو الطيب.

سالوا: لقد هجرنا يا أبتي في زمن الظلم والفساد.

الأب: وذهب إلى الجبل ليقطع الطريق، وأصبح له عصابة كبيرة تستولي على النقود والمجوهرات، وأصبح له ملف كبير في الشرطة.

بلالوفيتش: كانت الحياة صعبة يا أبي، وكان الحكم الشيوعي يكتم الأنفاس فرفع علي راية العصيان.

الأب (هائجًا): أتدافعون عن أخيكم الذي باع دينه بدنياه، لو كان معنا اليوم لما تحركت فيه شعرة من جرائم الصرب.

بلالوفيتش: كان تمرده في ذلك الزمن بطولة.

الأب: أية بطولة.. لقد جر علينا المتاعب، فاضطهدنا رجال الحزب الشيوعي والشرطة.. لم يرحم شيخوختي ولم يفكر في مستقبلكم..

العم: اسمح لي يا أخي محمد أن أتكلم.. إن ولدك الأكبر علي لاقى الأمرين في شبابه من السلطة.. سجنوه وعذبوه، ولفقوا له التهم.. ونحن لم نستطع أن ندفع عنه الأذى.

الأب: لقد نسي أن أباه من علماء الدين يا معروف.

العم معروف: أنت أحسنت تربيته يا أخي محمد.

الأب: فلماذا انحرف؟ لماذا؟

العم: الظلم أخمد فيه عواطف الحب، وأراد أن يثأر لكرامته وللمعذبين من أمثاله.. أنت تدرك ذلك يا أخي.

الأب: أيصبح زعيم عصابة وقاطع طريق يا ابن أمي وأبي؟

العم: لم يكن قادرًا على التصدي لظلم السلطة في معركة مكشوفة.

الأب: أيسرق؟؟

العم: إنه لا يسرق إلا فئات بعينها.

الأب (يهز رأسه في أسى): جعل من نفسه الخصم والحكم.

بلالوفيتش: أعترف لك يا أبي أنني كدت ألحق به.

الأب: (في دهشة): ماذا؟ أتمزح؟؟

بلالوفيتش: أقصد أننا في عهد تيتو ذقنا الهوان.. وقبل تيتو آذانا الضرب أشد الإيذاء.. وها نحن بعد عهد تيتو ندخل في الحلقة الجهنمية التي تكاد تقتلعنا من جذورنا.

الأب: الشيخ محمد (يقف غاضبًا ويلوح بيداه): معنى ذلك أن رجال الدعوة رجال السلام يفرون من الظلم إلى ظلم أكبر.. لو أن هذه العصابات قامت تجاهد الكفار الظالمين وحدهم لكنت أول المنضمين إليهم.

(دقات عنيفة على الباب –يسود الاضطراب والانزعاج).

الشيخ محمد : لا حول ولا قوة إلا بالله... (ثم يصيح).

الشيخ محمد: من بالباب؟

(بلالوفتيش يختطف مسدسه، ثم يقصد إلى الباب ليفتحه شاهرًا سلاحه، فجأة يرمي بلالوفيتش مسدسه في ناحية ويفتح ذراعيه في ترحاب ويهتف في فرح).

بلالوفيتش: أخي علي.. مرحبًا.. مرحبًا.. جئت في وقتك (يدخل شاب فارع الطول ملتح يحمل في يمينه مدفعًا رشاشًا وحوله عدد من الحراس المسلحين).

علي: (وهو يحتضن أخاه ويضمه بشدة)، لشد ما أوحشتموني (ثم يلتفت إلى الواقفين).

علي: السلام عليك يا أبتي.. السلام عليك يا عمي.. السلام عليكم جميعًا (يرددون السلام، ثم يجلس الجميع).

الأب: ما الذي أتى بك في هذا الوقت يا علي؟؟ تعرف أني حرمت عليك دخول هذا البيت منذ أن..

علي: (وهو يجلس على ركبتيه ضارعًا أمام أبيه الشيخ): جئت لأطلب منك الصفح وأتوب.

الأب: تتوب؟ كيف؟ لقد ارتكبت جميع الموبقات حسبما علمت.

علي: لقد خضت في الأشواك يا أبي، ووطأت جمرات النار واقتحمت العواصف، وتجمدت أطرافي في الثلوج.. كنت أبحث عن العدل.. عن الحقيقة..

الأب: (متوترًا): هل وجدتها يا علي؟

علي: نعم.

الأب: أين؟؟

علي: (بانفعال): هنا.. في هذا البيت. (ثم يثب علي ويختطف مصحفًا موضوعًا على الرف) وجدت الحقيقة كل الحقيقة في القرآن.

الأب: لم تقرأ فيه يا ولدي إلا صغيرًا.. ولم تفهم.

علي: بل فهمت الآن (ثم يجهش علي بالبكاء ويلقي برأسه على ركبتي أبيه بعد أن جلس) اغفر لي يا أبتي.

الأب: «بل يغفر لك الله.. إنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات».

علي (يجفف دموعه، ثم يعطي ظهره لأبيه ويشرد بنظراته إلى بعيد ويقول): حينما علمت أنهم قتلوا زوج أختي الكبرى، ثم اغتصبوا ماذا أقول؟؟ يا للبشاعة واغتصبوا الأم والطفلة ذات الاثني عشر عام.

الأب (يطأطئ رأسه في حزن): هل حدث ذلك فعلًا.. لا إله إلا الله -حسبنا الله ونعم الوكيل. . حسبنا الله ونعم الوكيل (يبكي ويجفف دموعه)..

علي: بل يحدث كل يوم... جئت بالقرآن .. أخذت أقرأ فيه ليخفف عني أحزاني.. وجدت آيات الله تمدني بكل جواب على تساؤلاتي.. عرفت الله.. عرفت الله (فترة صمت حزين -ثم يرفع علي يديه إلى السماء، ويصرخ بأعلى صوته القوي)..على جميع الخاطئين أن يتوبوا.. تطهروا جميعًا يا أهل البوسنة والهرسك، عودوا إلى الله واحملوا كل ما تملكون من سلاح، وتصدوا للكفر وأذنابه إما النصر، أو الموت.. الله أكبر.. (الجميع يهتفون وراءه الله أكبر).. إنها إرادة الله.. إن الكوارث

توقظ النائمين وهي كفارة للذنوب فلتمض حشودنا المؤمنة إلى الله رافعة أكف الضراعة لعله يقبل منا التوبة والدعاء.. الله أكبر.. الله أكبر.. (يهتف الجميع)..

ستار

***

المشهد الثاني



«الجبل - مغارة في الجبل.. يجلس فيها علي أو كما أصبحوا يسمونه الجنرال علي - حوله نخبة من أصحابه. الجميع يضعون أسلحتهم إلى جوارهم وهم يقرأون التشهد في آخر الصلاة.. يسلمون بعد انتهاء الصلاة».

الجنرال علي: أين الأسرى الصرب الثلاثة؟؟

بلالوفيتش: هم بالخارج مقيدون بالحبال يا جنرال علي.

علي: (يشير إلى المجموعة) عودوا إلى مواقعكم

(يعودون فيخرجون ولا يبقى إلا القليل)

أحضروا الأسرى.

«يدخل الأسرى يمسك بهم عدد من المجاهدين المسلمين في زي الحرب.. الأسرى تبدو عليهم الوحشية لكنهم يرتعدون».

الجنرال علي (للأسري): ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويفسدون في الأرض.

الأسير الأول: هذه أول مرة أخرج فيها.

علي: كم قتلت من المسلمين من أهل البوسنة؟

الأسير الثاني: إن تعفو عني أعترف لك بالحقيقة.

علي: تكلم.

الأسير الثاني: إن رفيقي هذا (مشيرًا إلى الأسير الأول) متخصص في اغتصاب النساء والرجال والأطفال.

علي: الرجال والأطفال؟ يا للصفاقة.

الأسير الأول: إنه كذاب بل هو الذي ذبح خمسة أطفال دفعة واحدة، ويزعم أن ذلك إرضاء للرب.

الجنرال علي (متلفتا إلى الأسير الثالث): وأنت أكنت تتفرج؟

الأسير الثالث: نحن في حرب.

على : ماذا تعني؟؟

الأسير الثالث: كنت أقاتل.. هذا كل ما في الأمر.. صدرت إلى الأوامر وقمت بتنفيذها.

على: ألم تفكر في مدى مطابقة هذه الأوامر لمبادئ الحق والإنسانية؟

الأسير الثالث: صغار الجنود لا يناقشون، بل ينفذون.

على: هل قرأت شيئًا في الإنجيل؟

الأسير الثالث: الإنجيل للصلوات والكنائس، أما الحرب فهي شيء آخر.

علي : لكنك لست مجرد جندي يتلقى الأوامر بل أنت قائد المجموعة التي تسللت إلى سراييفو للتخريب وقد فجرت مستشفى ومسجد ومدرسة كما أمرت مجموعتك بسحب دماء كثير من الأسرى المسلمين فماتوا وهم أحياء..

الأسير الثالث: أجل فعلنا ذلك.

علي: وتاجرتم في أعضاء الأسرى الأحياء منهم والأموات ونتج عن التفجير ضحايا من النساء والأطفال وكبار السن.

الأسير الثالث: لم أفكر في العواقب.

علي: ألم تفكر في وصايا المسيح عليه السلام؟

الأسير الثالث: أردنا أن نخضع أرضكم لسيادة ابن الرب.

علي: إنك تناقض نفسك، نبينا أخو نبيكم وقد نهانا عن قتل النساء والأطفال والعجائز، وعن هدم المنازل ودور العبادة وحرق الأشجار والزرع.

الأسير الثالث: لا أكاد أصدق.

علي: أنتم إذن معترفون .

الأسير الثالث: بماذا؟؟

علي: بجرائمكم، وبعصيانكم لنبيكم وإنجيلكم.

الأسير الثالث: الدنيا شيء غير الدين.

علي: أنتم مدانون بجرائم لا يقرها أي شرع أو دين وتخالفون مواثيق الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

«يقيسهم علي بنظراته متألمًا ثم يتمتم».

عشنا معًا قرونًا طويلة.. كنا كإخوة. وعانينا معًا أحزان العهد الشيوعي.. وعندما انزاح الكابوس قلنا سنبدأ حياة جديدة مضمونها التسامح والمحبة والإخاء لا فرق بين صربي أو بوسني أو كرواتي..

آه يا نفاية التعصب والحمق والجهل والجشع ماذا فعل بكم المسلمون؟؟

ليس في تاريخهم إساءة واحدة لأحد.

(يصرخ بأعلى صوته).

أيها الرجال خذوهم إلى مقر الأسرى حتى يصدر الحكم ويتم التنفيذ.

الأسرى الثلاثة (يصرخون ويبكون ويقولون تباعًا).

الأسرى : العفو والرحمة، اتركونا ونعدكم بأننا سنحارب إلى جوار الجنرال علي.

(لكن الحراس يجرونهم إلى الخارج وهم يستغيثون)

علي: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[البقرة:179]

هيا اقتلوهم.

بلالوفيتش: (يدخل ويقول لعلي): قوم غرباء وفدوا إلينا.

علي: بل هم إخوة لنا.. دعهم يقبلون على الرحب والسعة.

بلالوفيتش: إنهم يلبسون ثيابًا غريبة.. لكأنما قدموا من عند النبي على ظهر سحابة بيضاء..

علي: هم يعرفون طريقهم.

(يدخل اثنان يلبسان الزي العربي الغترة والعقال والجلباب الأبيض، وثالث عمامة وكاكولة، ورابع الزي الباكستاني.. ويلقون التحية) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

علي (يهب واقفًا): وعليكم السلام يا إخوة الإسلام.

(يتعانق الجميع، وينضم إليهم عدد من المجاهدين البوسنيين الواقفين بالخارج -ثم يجلسون).

الجنرال علي: (وهو يقف خطيبًا حاملًا سلاحه).

إنني أرحب بالأخوين القادمين من المملكة العربية السعودي كما أرحب بالجنرال عبد العزيز القائد والمجاهد

الباكستاني الذي يقود مجموعة من خمسمائة رجل، وأرحب ثالثًا بالشيخ الجليل القادم من أرض الكنانة، ذي التاريخ العاطر في حرب القناة وفلسطين .. إنكم تمثلون وحدة الأمة الإسلامية التي صمدت، أمام الأحقاد الصليبية والصهيونية والسياسية البرجماتية النفعية الغربية الجائرة.. لقد تنكر لنا الجميع، حتى بعض حكومات العالم الإسلامي لم تقم بالواجب كاملًا نحو قضيتنا العادلة.. برغم تأكدهم بأنا أندلس جديدة، وفلسطين جديدة.. ماذا ينتظرون؟؟ إن العالم الشيوعي والرأسمالي متآمر علينا، كلهم لم ينسوا العقدة الصليبية القديمة.. إننا لن نكف عن الجهاد حتى لو هزمنا لا قدر الله.. إن معركة الإسلام مستمرة حتى قيام الساعة.. وقد وعدنا الله بالنصر.. قد نخسر المعركة أو أكثر لكن الله غالب على أمره..

بلالوفيتش (يهتف) : الله أكبر.

الجميع: الله أكبر.

الجنرال علي : الكلمة الآن للمندوب السعودي، ثم الإخوة الآخرين .

السعودي : أحضرنا قدرًا من المال، وكميات من الأطعمة والأدوية والملابس، وستتوالى المساعدات الأخوية في قابل الأيام «إن شاء الله».

الجنرال الباكستاني: لقد نجحنا والحمد لله في عدد من المعارك وقد استطعت بمساعدة الإخوة من باكستانيين وأفغانيين في تهريب كمية من السلاح لا بأس بها.

العالم المصري: أحضرنا معونات عينية، وقد تعذر إحضار السلاح لأمور تعرفونها ولا تخفى على فطنتكم، كما أمكننا جمع كمية من المال من تبرعات الشعب المصري المسلم. لكنني أؤكد لكم أن شعبنا المسلم لو فتحت أمامه الأبواب، لتدفق الآلاف طالبين الشهادة في سبيل الله.

الجنرال علي: هذه القلوب الطاهرة المؤمنة لن تستطيع أية قوة في العالم أن تهزمها وإن طال الزمن.

إن لدينا الرجال الأقوياء، ولكنا نريد السلاح، ويهمني أن أطمئنكم بأننا أعددنا المخازن السرية في أنحاء سراييفو لحفظ مؤونتنا، كما شكلنا لجانًا لتوزيع المعونات بالعدل على المواطنين حتى المال.. ونجحنا في إنشاء مستشفيات ومدارس مبسطة في المخابئ وبعض المساجد التي لم تتهدم بعد وبعض المحلات التجارية المهجورة وسننفذ ما اتفقنا عليه باشتراك إخوتنا القادمين من العالم الإسلامي.

(يستأذن أحد المجاهدين البوسنيين في مقابلة الجنرال علي)

المجاهد: لقد دمرنا قافلة عسكرية صربية من عشرين رجلًا واستولينا على كمية كبيرة من الذخيرة.

بلالوفيتش: (يهتف) الله أكبر.

الجميع: الله أكبر.

المجاهد: لكن هناك أمر هام.

علي: تكلم.

المجاهد: مخابراتنا تؤكد أن الصرب يعدون لهجوم على العاصمة بعد غد.. والكارثة أن الكروات ينوون نقض العهد وسيهجمون أيضًا في نفس الوقت من جهة أخرى.

الجنرال عبد العزيز: قواتي على أهبة الاستعداد.

الجنرال علي: يجب أن نتحرك بسرعة، إن الكروات برغم خلافهم مع الصرب، إلا أنهم أبناء ملة واحدة والكفر ملة واحدة.. هكذا علمني أبي من قديم لكنني لم أدرك مغزى كلماته إلا بعد التجارب المريرة، وذلك الكابوس الذي أطبق علينا دون أن نستعد له (يسمع صوت نشيد حماسي يقترب رويدًا رويدًا ثم يدخل بضعة أطفال وهم يغنون نفس النشيد الذي بدأنا به المسرحية)..

ستار

***

المشهد الثالث



(الباحة الواسعة في بيت الشيخ محمد كما صورناها في المشهد الأول، وفيها الشيخ وأولاده الثلاثة الجنرال على وبلالوفيتش وسالو وعمهم).

الشيخ: هيه يا علي.. سبحان مغير الأحوال، بالأمس كانت الشرطة تعلق صورك في الشوارع والميادين.

علي: (يكمل قائلًا) وترصد جائزة كبرى لمن يقبض عليّ حيًّا أو ميتًا.

سالو: أما اليوم فإن أبناء سراييفو يرفعون صورتك في كل مكان.

العم: ويطلقون عليك لقب البطل الذي صد هجوم الصرب عن المدينة وأفشل هجوم الكروات.

الشيخ: أصبحت بحق قائد المقاومة الشعبية.

العم: والمسلمون يهتفون باسمك في كل مكان.

علي (يقف ويشرد بنظراته) ثم يقول: أيام الشيوعية كنت قاطع طريق.. أضرب على أيدي المستغلين وطغاة السلطة واستولى على أموالهم وعتادهم.

العم: لكنك أصبحت الآن تقطع الطريق على المعتدين والظالمين.

علي: لم يتغير لديّ شيء سوى الفكر وفهم العقيدة الصادقة.

الشيخ: كان الصحابي الجليل أبو بصير يقطع الطريق على كفار مكة فهو حسب الاتفاق بين محمد والكفار لا بد أن يعاد أبو بصير إليهم ولا يقبله محمدًا مهاجرًا فلم يجد وسيلة سوى أن يتمرد على بغي قريش فدعا له النبي.. فما كان من كفار مكة إلا أن استغاثوا بمحمد ﷺ، وتنازلوا عن شرطهم حتى يقبله المسلمون معهم في المدينة.

علي: إن العالم كله مليء بالفساد.. أبناء بلدنا يموتون من الجوع وعذاب الأسر والقتل والتنكيل والتدمير.

العم: والعالم يتفرج.

علي: أصدروا قرارًا بإسقاط المعونات بالطائرات على المسلمين في مناطقهم المعزولة.. بعد أن منعهم الصرب من المرور.

الأب: وماذا كانت النتيجة؟ الصرب يستولون على معظم مواد الإغاثة.

على : وأمريكا زعمت أنها ستوجه غارات بالطائرات على جميع الصرب المعتدين.

العم: كلام في الهواء.

الأب: وفي كل يوم اتفاقية لوقف إطلاق النار.

على: وأيضًا في كل يوم يخرقها الصرب.

الأب: حاكم الصرب المجهول أصبح هو الفتى المدلل يأتيه المال والسلاح والإغاثة.

علي: ويزعمون أنهم سيحاكمونه كمجرم حرب.

العم: وإبادة المسلمين مستمرة.

الأب: والوسيطان الدوليان يمسكان بأطراف مؤامرة كبرى لسحقنا .

العم: ويلبيان في مقترحاتهم رغبات الصرب.

علي: لقد احتل الصرب حتى الآن ما يقرب من سبعين بالمائة من أرضنا.

الأب: وأبناؤنا اللاجئون.. الهائمون على وجوههم محاصرون ومطاردون.

علي: هذا ما يسمونه النظام العالمي الجديد (يدور علي بنظراته في أنحاء المكان ثم يقول ملوحًا بيده): السماء ملبدة بالغيوم، والأرض تغلي من تحتنا ومن فوقنا.. والعواصف تزأر هناك فوق الجبال.. والأبرياء يطبق عليهم الفناء حتى الحمائم والطيور والحيوانات والغابات تحترق.. أهذه هي بوسنة الآباء والأجداد؟؟ أهذا هو النظام العالمي الجديد الذي تتزعمه أمريكا؟؟

الأب: لقد أعلن الصليبيون الجدد أنهم لن يسمحوا بإقامة دولة إسلامية في أوروبا.

العم: أصبح الموضوع ليس البوسنة أو الهرسك، ولكن إسلام أو لا إسلام (يسمع صوت انفجارات قوية، يصمت الجميع وينبطحون أرضًا).

علي: إفرازات النظام العالمي الجديد.. هيا يجب أن نلجأ إلى المخابئ (يدخل بلالوفيتش مرتبكًا).

بلالوفيتش: لقد ضربوا المبنى المجاور لنا بالصورايخ، وهناك عدد كبير من القتلى والمصابين.

على: سوف نستدعي صديقنا الطبيب الفلسطيني الذي يعيش في البوسنة منذ أكثر من ثلاثين عامًا.. إنه يدير المستشفى السري بكفاءة وهو مجاهد معنا منذ البداية.

بلالوفيتش: ألا تذهب إلى المخبأ..

علي (وهو يبتسم في مرارة): ومن لهؤلاء إذا اختبأت.. إن كلمة الموت لم تعد تفزعني من قديم .. انزل إلى رجالنا وأصدر إليهم أوامري بأن يحاولوا إسعاف الجرحى، وسحب القتلى من تحت الأنقاض.. لا..لا.. بل سأنزل أنا..

بلالوفيتش: لكن الخطر مازال محدقًا بنا.

علي: الناس يحتاجون إلى قيادة وقدوة.

بلالوفيتش: وأنا؟

علي: اذهب إلى القوات المرابطة في الجبل واطلب منهم أن يردوا على القصف الغادر في مواقعه، لا يصح أن نأخذ الضربة الموجعة ونسكت.

بلالوفيتش: إن بقاءك حيًا أمر هام له مغزاه.

علي: أهم من ذلك أن تمضي في معركتك بطلًا، وتموت بطلًا، وتأكد يا بلالوفيتش إنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا..

(انفجار آخر وانبطاح على الأرض).

علي: (يضحك في أسى): ولو..

(ثم يلتفت إلى أخيه): خذ السيارة الجيب الصغيرة واذهب إلى الرجال ليبادروا بالرد..

لا.. أنت لا تتحرك بصورة سريعة كافية.. سأذهب بنفسي.

بلالوفيتش: اطمئن.. سأذهب مسرعًا.

علي: قلت سأذهب بنفسي.. انتهى الأمر، وسآخذ بعض الرجال معي.. وتول أنت أمر الجرحى وأمر الأسرة هنا.

بلالوفيتش: ولماذا لا تتصل بهم لاسلكيًا.

علي: (يضرب بكفه اليمنى على جبهته): لقد نسيت البديهيات إن المفاجآت والغضب قد أثرا على تفكيري.

(يمسك اللاسلكي ويتحدث ويصدر أوامره بالرد على موقع الصواريخ للأعداء).

صوت من اللاسلكي: إن الجنرال عبد العزيز قد بدأ الرد فعلًا منذ قليل.

علي: افعلوا أنتم أيضًا نفس الشيء.

الصوت: إن شاء الله.

علي: وأنا قادم إليكم.

الصوت: قد يحتاج إليك المجاهدون في المدينة، إنهم ينتظرونك.

علي: سنرى ما يمكن عمله.

الصوت: يا أخي القائد.. إننا نلمح طائرة صربية تقترب من المدينة.

علي: أطلقوا عليها النار.

الصوت: سنفعل لكنها قد تفلت منا مثلما حدث مرارًا قبل ذلك .

علي: ليس لنا خيار آخر.

(يغلق الجهاز، ثم يلتفت إلى أخيه بلالوفيتش ويقول له):

هيا بنا، لنجعل الناس يستعدون للغارة الجوية المحتملة إن قرار الأمم المتحدة يحرم على الصرب استخدام الطائرات ضدنا بل ومنع تحليقها أصلًا.

بلالوفيتش: وأين الأمم المتحدة ، القرار ينتهك كل يوم .

علي: وليست لدينا طائرات حربية يا بلالوفيتش.

بلالوفيتش: الحق للأوغاد الأقوياء.

(الجنرال علي يختطف رزمة من الأوراق ثم يلقي بها في الموقد ويشعل فيها النار).

بلالوفيتش: ما هذا يا أخي؟؟

علي: قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وتوصيات الوسيطين الدوليين.

(تشتعل النار في الموقد، يمد علي يديه ليدفئهما) تعالى يا بلالوفيتش لتدفئ يديك أنت الآخر وإن كنت أرى أن هذه الأوراق المحترقة ليس فيها دفء على الإطلاق إنها هباء يا بلالوفيتش.

نفخة واحدة تجعلها ذرات تطير في الهواء.

إذا أنا مت يا بلالوفيتش، فأحمل سلاحك وامض.. ولا تستسلم أبدًا إن القوى الكبرى ضدنا.. لكن الله أقوى من الجميع يا بلالوفيتش أتؤمن بذلك؟؟

بلالوفيتش: أعمق الإيمان.

علي: إن أحزان الغدر والهزيمة قد تخلخل الإيمان في النفوس.. حذار.. حذار يا بلالوفيتش لا تيأس أبدًا الإيمان الحق لا تزلزله الكوارث والأحداث لئن تموت بإيمانك نقيًا يا بلالوفيش، خير لك من أن تحيا مهزومًا ولو جلست على كرسي الحكم، وعلى رأسك تاج وفي يدك صوجان.

بلالوفيتش: قلبي يحدثني أنك ستبقى، وسيحرسك الله لقد أصبحت من رجال الله.

علي: حتى رجال الله لا بد أن تكون لحياتهم نهاية لا يهم أن نموت أو نعيش.. المهم أن تبقى كلمة الله هي العليا.

بلالوفيتش: الموت والحياة بيد الله، وليس لنا دخل في ذلك، لكني أعاهدك أن أمضي على طريقك.

علي: بل على طريق محمد ﷺ الذي تركه الله عليه.. إنه المحجة البيضاء، ما حاد عنها إلا هالك.. ربما يكن سر هلاكنا اليوم أننا حدنا عنها..

علي: أعاهدك .. ألا ترحل؟؟ لقد تأخرنا.

علي: (وهو يحمل سلاحه وجهاز اللاسلكي ثم يقف وينظر إلى السماء): السماء ملبدة بالغيوم.

وخلف الظلام الدامس أبالسة يعبثون.. وكؤوس ورقصات مجنونة.. وصفقات مريبة بلغها الحقد الأسود.. وعيون حمراء تبرق كأعين الشياطين.

(دوي المدافع تسمع من بعيد بينما يظل علي يتحدث إلى أخيه)

تصور يا أخي أن زراديتش شاعر.. شيء يدعو للسخرية المفروض أن الشاعر رقيق الحس والوجدان فكيف تسعده المذابح.. ثم إنه طبيب نفسي على دراية بخفايا النفوس ذلك الملعون إفراز الحضارة القذرة..

آه يا حاكم الصرب سيذكرك التاريخ بأبشع صفات النذالة والخسة.. إنه يخرج لسانه للمجتمع الدولي الذي أراد أن يحاكمه كمجرم حرب. سفاح صربيا.. سفاح صربيا.

بلالوفيتش: (مرعوبًا وهو يقترب من أخيه) علي إنك تنزف يا أخي كيف حدث هذا دون أن تشعر به؟؟

علي: انتظر يا بلا لوفتيش.. إنني أرى من بعيد أضواء الفجر الآتي وأرى الكعبة تسبح في النور.. وأرى الملائكة المسومين يقدمون نحونا من أرض بدر الكبرى..

إنني أسمع الهتاف العظيم.. لا إله إلا الله.. صدق وعده ونصر عبده.. وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. إنهم قادمون يا بلالوفيتش.. إخواننا المسلمون في أنحاء الأرض قادمون على صهوات الريح إنهم يبددون الظلام، ويجندلون سماسرة الموت.

إنه ليس حلمًا يا بلالوفيتش.. إني أراه حقيقة.. إنهم قادمون. على أجنحة يكبرون ويهللون

الله أكبر

الله أكبر

بلالوفيتش: (يسند أخاه على الذي ينزف من كتفه جهة اليسار على صدره.. وترتج الآفاق بهتاف الله أكبر وعلى السادة مشاهدي المسرحية أن يشاركوا بالتكبير.. ويندمجوا مع الممثلين حسب توجيهات المخرج)

ستار الختام

***